إذا حُقِّق النظر مرجع إلى ذلك، ومُنصَرف فيما هنالك، منها التجنيس والحشو . أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً [1]»ويقول :« فقد تبين لك أن ما يعطي التجنيسَ من الفضيلة أمر لم يتمّ إلا بنُصرة المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسَن ، ولما وُجد فيه معيب مُستهجَن »[2] . ثم يقول في الحثّ على ترك الاستكثار منه وبيان العيب في تتبّعه وتقصّيه : « ولذلك ذُمَّ الاستكثار منه والولوع به ، وذلك أن المعاني لاتدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدم المعاني والمُصرَّفة في حكمها ، وكانت المعاني هي المالكة سياستها المستحقة طاعتها ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته ، وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنّة من الاستكراه ، وفيه فتح أبواب الغيب والتعرّض للشين ، ولهذه الحالة كان كلام المتقدّمين الذين تركوا فضل العناية بالسجع ، ولزموا سجيّة الطبع ، أمكنَ في العقول ، وأبعد من القلق ، وأوضح للمراد ، وأفضل عند ذوي التحصيل ، وأسلم من التفاوت ، وأكشف عن الأغراض ،

---

(١) أسرار البلاغة : ٥ – ٦

(٢) أسرار البلاغة : ٨